الفهرس

الوعي واللاوعي 2
مقدّمة 2
الإشكاليّات 2
مواقف فلاسفة الوعي 2
نقد الوعي 3
نظريّة فرويد للّاوعي 4
نقد نظريّة فرويد 5
التوليفة 6

المحور الأول - الدرس الثاني

الوعي واللاوعي

مقدّمة

يطلق اسم علم النفس التقليديّ أو الكلاسيكيّ على علم النفس الذي عرف قبل أواخر القرن التاسع عشر، والذي كان يعتبر أنّ الوعي يسيطر على الحياة النفسيّة الكاملة للإنسان، أمّا الجانب اللّاواعي فهو فيزيولوجيّ، وقد تمّت دراسته وفقاً للقاعدة الثنائيّة : النفس/ الجسد، فكلّ ما هو واعٍ هو نفسيّ، أي الفكر، النفس، الأنا، وكلّ ما هو لاواعٍ هو جسديّ كقيام المعدة بهضم الطعام، ونمو الأظافر والشعر.

ثمّ ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر مواقف جديدة لفلاسفة يؤكّدون أنّ الدوافع اللاواعية هي التي تتحكّم بالإنسان نفسيّاً وجسديّاً، وكان أبرزهم العالم سيغموند فرويد الذي ترك أثراً بارزاً في دراسات علم النفس حتّى يومنا هذا.

الإشكاليّات

علامَ نعتمد في الحياة النفسيّة؟

هل يُعدّ الوعي هو المتحكّم فيها بالمطلق ؟

هل يُعدّ اللّاوعي هو الذي يسيطر عليها؟

مواقف فلاسفة الوعي

برز الكثير من علماء النفس والفلسفة الذين أكّدوا على أهمّية دور الوعي، وأبرزهم ديكارت القائل "أنا أفكّر، إذن أنا موجود"، وبموقفه هذا أكّد على دور الوعي الحاسم في كلّ ما يعرفه الإنسان.

وقد تمّ وضع مجموعة من البراهين لتحديد خصائص الوعي، منها بحسب قول بعض الفلاسفة :

- كانط : الوعي يظهر عندما يبدأ الطفل بقول كلمة "أنا".

- برغسون : 1- الوعي معرفة أوّلية وهو بمثابة الحدس. إنّه المعطى الأساس للتفكير والمعرفة.

2- الوعي فعل عفويّ يظهر من خلال الحالات النفسيّة التي يشترك بها كلّ البشر، مثل الحزن، الفرح، ...إلخ.

- سارتر : الوعي هو فعل اختيار، فهو الذي يسمح للانسان بتحمّل مسؤولية أفعاله.

- الظواهريّون : "كلّ وعي هو وعي لشيء ما"، فالوعي لا يحقّق حضوره إلّا بحضور موضوع خارجيّ.

- آلان : يتحكّم الوعي بإرادة الإنسان في الحياة النفسيّة والجسديّة.

- دولاي : هناك سبعة مستويات متدرّجة بين الوعي واللّاوعي، أعلاها عند التركيز على موضوع معيّن، وأدناها في الحالات السابقة للنوم.

- ريبو : "لا أحد يعرف هل أنت جبان أو طاغية إلّا أنت، فالآخرون لا يرونك أبداً".

إضافة إلى خصائص أخرى نذكر منها :

أ. الوعي نشاط توحيديّ وتوليفيّ، فمن خلاله يستطيع الإنسان أن يركّب عناصر مختلفة في مشهد أو فعل واحد.

ب. يؤمّن الوعي لصاحبه الشعور بوحدة شخصيّته واستمراريّتها، فهو يقوى ويضعف دون أن ينقطع حتّى في حالات النوم والغيبوبة.

ج. الوعي يؤمّن التكيّف مع الوسط الاجتماعيّ، فيستطيع الإنسان الاندماج ووعي ما يدور حوله والمشاركة به.

د. من جرّاء هذه البراهين والخصائص فإنّ دراسة الوعي استدعت استخدام منهج الاستبطان، أي دراسة الأنا للأنا.

نقد الوعي

1. كثيراً ما يصدر عن الإنسان سلوكيّات لا يعيها إلّا بعد انقضائها، فليست كلّ حياة الإنسان حالات واعية.

2. يعيش الإنسان حالات نفسيّة كثيرة دون أن يعي سببها، فنحن نحزن أو نفرح دون معرفة السبب، وهذا لا يعني وجود السبب، أو عدم وجوده، إنّما هو خارج وعينا.

3. يقول "أوغست كونت" : " لا يمكنني أن أقف إلى النافذة وأرى نفسي أسير في الشارع". وهذا دليل على ذاتية الاستبطان، لأنّ الدارس والمدروس شخص واحد.

نظريّة فرويد للّاوعي

أشار بعض الفلاسفة المعاصرين إلى اللاوعي، فهيّأوا للفكر الفرويدي، ومنهم شوبنهاور القائل " إنّ دوافعنا الواعية ليست سوى واجهة تخبّئ دوافعنا اللّاواعية، وإنّ الكبت بواسطة العقل يشكل أساساً لأمراض النفس". جاء بعد ذلك فرويد الّذي اعتبر أنّ السنوات الأولى من عمر المولود هي الأساس في تكوين حياته النفسيّة، وأنّ سلوكه في هذه المرحلة ليس سوى غرائز ينبغي إشباعها باللّذة بكلّ مظاهرها الحسيّة والعاطفيّة، من لذّة الرضاعة، إلى اللّذّة النابعة من عمليّتي التبوّل والبراز، إلى لذّة الشعور بحنان الأمّ... كلّ هذه اللّذّات تخفّف عند الطفل من حدّة التوتّر الجسديّ. وفي مقابلها توجد دوافع عدوانيّة غريزيّة، كتلك التي نراها في الحروب.

ويسمّي فرويد مجموع الغرائز الإيجابيّة والسلبيّة بـ"الليبيدو"، وهي غرائز تطلب إشباعها دون ضوابط، إلّا أنّها تصطدم بالمحيط الاجتماعيّ، فيتمّ كبت الكثير منها لتتلاءم مع الواقع الاجتماعيّ. لكن كبتها لا يعني زوالها، لأنّها تبقى متراكمة في اللّاوعي حتّى تجد فرصة لتظهر ولو بطرق مقنّعة.

الحجج والأدلة على وجود اللاوعي

أ.زلّات اللسان : يعتبر فرويد أنّ زلّات اللسان تعبّر عن نوايا لا واعية، وهي ليست مجرّد كلمات بريئة وغير مقصودة. مثلاً : إعلان اختتام جلسة في لحظة افتتاحها بسبب وجود خصوم في هذه الجلسة.

ب.الأفعال الناقصة : كزلة القلم، حيث يعجز الوعي عن تفسير هذا الفعل، لذا فإنّ فرويد يعيد هذه الأفعال إلى اللّاوعي.

ج. النسيان غير المبرّر : والذي يعبّر عن عدم الرضى عن موضوع معيّن، كنسيان بعض الأعمال الروتينية، أو أسماء بعض الأشخاص المقرّبين...

د. الأحلام الليليّة : والتي تعتبر تعبيراً رمزيّاً عن المخاوف المكبوتة، وتعتبر أفضل الطرائق للدخول إلى أعماق الحياة النفسية اللاواعية، كما أنّها حارسة النوم، فعندما أحلم أنّني ظمآن وأنّني أشرب، فإنّ ذلك يساعدني على الاستمرار في النوم إلى حين أستيقظ وأشرب.

إضافة إلى أمور أخرى تحصل في حياتنا اليومية، كالرسم من غير وعي، الفوبيا، المزاح بغير أوقاته، المشاعر الفجائية من حبّ أو كره، الوسواس القهري الاكتشافات العلمية والخيال الإبداعي... إلخ.

طبقات الجهاز النفسي في شخصيّة الإنسان

بيّن فرويد أنّ شخصيّة الإنسان تتكوّن من ثلاث طبقات :

أ.الطبقة السفلى : أو الهو، وهي طبقة الغرائز المكبوتة.

ب.الطبقة العليا : أو الأنا الأعلى، وهي التي تعمل على كبت متطلّبات الهو، وتتحوّل إلى ما يسمّى بالضمير عند مرحلة البلوغ، وهي بالتالي طبقة المبادئ الأخلاقيّة والدينيّة والمجتمعيّة.

ج.الطبقة الوسطى : أو الأنا، وهي الطبقة التي تتحمّل ضغطي الأنا العليا والأنا السفلى، وهي التي تمثّل الوعي، وحين يعجز الإنسان عن التوفيق بينهما تحصل الأمراض النفسيّة.

نقد نظريّة فرويد

تعرّضت نظرية فرويد إلى عدد من الانتقادات من قبل العلماء، حتّى من أقرب الناس إليه، ابنته آنّا وبعض تلامذته؛ من الانتقادات التي وجّهت إليه :

1. أحال فرويد دوافع الإنسان إلى الحياة الجنسيّة، متجاهلاً بذلك الفروقات الفرديّة العقليّة والثقافيّة والتاريخيّة، وهذا تقصير بحقّ الإنسان.

2. اتّهمت نظريّته بالماديّة، فهذه النظريّة تناسب أشخاصاً يعانون من مشاكل خاصّة بهم ولا تصلح للتعميم، خاصّة في حالات التسامي الأخلاقيّ والدينيّ.

3. في كثير من الحالات لم يقدّم اللّاوعي حلّاً للمرضى النفسيّين، بل زادت من خطورتها.

4. بالغ فرويد في اعتبار الغريزة الجنسيّة هي التي تتحكّم بالمواليد الجدد في المرحلتين الفميّة والشرجيّة.

التوليفة

لا بد من الإشارة إلى أهمّية دور كلّ من الوعي واللّاوعي في حياة الإنسان، فالوعي حاضر في حياته اليومية، وهو ما يميّزه عن باقي الكائنات الحيّة، لأنّه يختار ويتّخذ القرارات، وكذلك لا يمكننا إنكار أهمّية دور اللاوعي الذي فرض وجوده في القرن الحادي والعشرين، لذا لا يمكننا الاستغناء عن دور أيّ منهما في حياة الإنسان النفسية.